الأحوال الاجتماعية في مصر في كتاب حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي(ت٩١١هـ/١٥٠٥م)

أ.د. عمار مرضي علاوي

الباحثة/ باسمة سنان محي

الجامعة العراقية/ كلية الآداب

The Social conditions in Egypt in the Book titled Hasan Al-Mahadarah in the History of Egypt and Cairo for Al Suyuti (911AH/1505AD)

Prof. Ammar Murdi Allwai (Ph.D.)
Researcher BASIMA SINAN MUHI
Al-Iraqia University/College of Arts

المستخلص

أهتم السيوطي في كتابه حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، بتدوين جوانب من الحياة الاجتماعية، من ذلك بيان موقف الإسلام من المجتمع القبطي، إذ وردت إشارات عن بشارة الرسول(ﷺ)، بفتح مصر تحديدًا، ودعا إلى الإحسان إلى أهلها إكراما لهاجر أُم النبي إسماعيل وزوجة النبيّ إبراهيم، كما وجه السيوطي اهتمامه لرصد بعض المظاهر السلوكية الخطيرة التي برزت في المجتمع المصري لا سيما في العصر الفاطمي والأيوبي والمملوكي، بسبب ضغط العاملين السياسي والاقتصادي، وبين دور العلماء في توجيه السلاطين وحثهم على إصدار القوانين التي تحد من أنتشار الرذائل والفواحش في المجتمع، وأشار أيضاً إلى دور السلاطين والعلماء في مواجهة الأزمات التي لها علاقة بالقحط أو جفاف نهر النيل، وإصلاح الأحوال المعاشية للسكان، وأخذت المناسبات الاجتماعية حيزا من حسن المحاضرة، إذ تحدث السيوطي عن مظاهر الاحتفال الكبير الذي كان يجري سنوياً بمناسبة الحج وخروج المحمل السلطاني، ولم يغفل عن الحديث عن مكانة المرأة ودورها في الحياة الاجتماعية، فقد أسهمت المرأة بنصيب وافر في الحياة العامة لاسيما في مجال البر والإحسان والصلاح والعبادة، ووردت في حسن المحاضرة كثير من الإشارات التي ترصد علاقة وموقف الدولة الاسلامية بالأقليات غير المسلمة في مصر.

الكلمات المفتاحية: السيوطي، الحياة الاجتماعية، مصر

Abstract

Al-Suyuti, in his book hassan almuhadara in the History of Egypt and Cairo, was interested in recording aspects of social life, including the statement of Islam's position on Coptic society, as there were references to the Prophet's good tidings of the conquest of Egypt in particular.

He called for charity to her family in honor of Hajar, the mother of the Prophet Ismail and the wife of the Prophet Ibrahim. Al-Suyuti also directed his attention to monitoring some of the dangerous behavioral manifestations that emerged in Egyptian society, especially in the Fatimid, Ayyubid and Mamluk eras, due to the pressure of political and economic workers. He explained the role of scholars in guiding the sultans and urging them to issue laws that limit the spread of vices and immorality in society. He also referred to the role of sultans and scholars in facing crises related to drought or the drying up of the Nile River, and reforming the living conditions of the population, and social events took part in a hassan almuhadara, Al-Suyuti talked about the manifestations of the great celebration that was taking place annually on the occasion of the Hajj and the departure of the royal bearer, and he did not neglect to talk about the status of women and their role in social life, Women have contributed a large share in public life, especially in the field of righteousness, charity, goodness and worship, and many references were made in the Hassan Almuhadara book that monitor the relationship and position of the Islamic state with non-Muslim minorities in Egypt.

Keywords: Al-Suyuti, social life, Egypt

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد...

اضحت الدراسات التي تتناول كتاباً ما من كتب التراث العربي الإسلامي، من الدراسات الشائعة كثيراً في الوقت الحاضر، ومما لا شك فيه، فإنّ البحث في بطون أحد الكتب المرشحة واجتزاء المعلومات والروايات منه عن إحدى الدول، ومن ثم عقد موازنة بين معلوماته والمعلومات الأخرى المتوافرة عن الدولة نفسها في الكتب الأخرى، قد مثل نقلة نوعية في الدراسات التاريخية الأكاديمية الجديدة، ويدلل على فائدتها العظيمة وعلى حاجة المكتبة العلمية الأكاديمية للمزيد منها.

لذلك فإن كتاب " حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة " واحد من الكتب التي اختصت في فن معين من فنون التاريخ ألا وهو الكتابة عن اقليم أو بلد مما يطلق عليه الانتماء والاعتزاز بالبلد الذي ينتمي اليه المؤرخ ، فجاء هذا الكتاب على هذا المنوال ليكون دالةً على تاريخ مصر الاسلامية . وفي ضوء الاطلاع على مضامين الكتاب جاءت الرغبة في دراسته والكتابة فيه فيما يخص تاريخ مصر الاسلامية ، بعد استشارة أهل الاختصاص الذي يعد بمثابة هدية ثمينة في دراسة المؤرخ الكبير السيوطي وكتابه " حسن المحاضرة " .

اهتم السيوطي في كتابة حسن المحاضرة بالجانب الاجتماعي الذي تضمن موقف الاسلام من المجتمع القبطي ، والمظاهر الاجتماعية ، وأثر العلماء في المجتمع ، والمناسبات الاجتماعية ، ومكانة المرأة في المجتمع ، وموقف الدولة من أهل الذمة.

الجانب الاجتماعي في كتاب حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة

١- موقف الإسلام من المجتمع القبطي

بدأ السيوطي في حديثه عن الفتح الإسلامي لمصر سنة٢٠ه/٦٤١م [١] ، بإشارات عن بشارة الرسول(صلى الله عليه وسلم)، بفتح مصر تحديدًا، ودعا إلى الإحسان إلى أهلها إكراما لهاجر أُم النبي إسماعيل وزوجة النبيّ إبراهيم، فقد كانت من أرض مصر، كما أخبر بدخول أهلها في الإسلام واشتراكهم مع إخوانهم في التمكين قال: "استوصوا بالقبط خيرا، فإنكم ستجدونهم نعم الأعوان على قتال عدوكم"[٢]. وعن رجل من المربد، أن رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، مرض، فأغمي عليه ثم أفاق، فقال: "استوصوا بالأدم الجعد"؛ ثم أغمي عليه الثانية ثم أفاق، فقال مثل ذلك، ثم أغمي عليه الثالثة فقال مثل ذلك، فقال القوم: لو سألنا رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، عن الأدم الجعد! فأفاق، فسألوه فقال: "قبط مصر؛ فإنهم أخوال وأصهار، وهم أعوانكم على عدوكم، وأعوانكم على دينكم"، فقالوا: كيف يكونون أعوانا على ديننا يا رسول الله؟ فقال: "يكفونكم أعمال الدنيا فتتفرغون للعبادة؛ فالراضي بما يؤتى إليهم كالفاعل بهم، والكاره بما يؤتى إليهم من الظلم كالمتنزه عنهم"، وقال رسول الله()صلى الله عليه وسلم،: "الله الله في أهل الذمة، أهل المدرة السوداء، السحم الجعاد؛ فإن لهم نسبا وصهرا".

وأشار السيوطي الى وصية الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى عمرو بن العاص يوصيه بأهل العهد والذمة، ويذكره بوصية النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بهم عامة، وبالقبط خاصة، هذه الوصية تمثل لنا سيرة الخليفة عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) مع أهل الذمة، ويبين شدته على العمال في منعهم عن إيذاء أهل الكتاب؛ اقتداء برسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعملا بأمره[٣].

كما ورد في حسن المحاضرة، بيان لموقف المجتمع المصري (الأقباط المصريين)، الذين رحبوا بالفتح العربي الاسلامي، الذي رأوا فيه خلاصاً من اضطهاد الروم البيزنطيين لهم، ولذلك راحوا منذ اللحظة الأولى يقدمون العون للفاتح العربي ضد المستعمر الرومان، وذكر السيوطي[٤]صوراً كثيرة لترحيب الأقباط بالعرب، فمما ذكره السيوطي: " وكان بالإسكندرية عند الفتح أسقف للقبط يقال له بنيامين، فلما بلغه قدومه –أي عمرو- إلى مصر كتب إلى القبط يعلمهم أنه لا يكون

للروم دولة، وأن ملكهم قد انقطع، ويأمرهم بتلقي عمرو، فيقال: إن القبط الذين كانوا بالفرما، كانوا يومئذ لعمرو أعواناً"، وذكر[٥] في مكان آخر من كتابه: أن عمرو بن العاص قد خرج بالمسلمين حتى أمكنهم الخروج من حصن بابليون، ومعه جماعة من رؤساء القبط، وقد أصلحوا لهم الجسور والأسواق، قاصدين الإسكندرية،"وصارت لهم القبط أعوانا". وهذه عبارات صريحة، وكلمات واضحة لا تحتاج إلى تأويل، أو تحريف في شرح موقف الأقباط من الفتح.

وإذا كان القبط قد فعلوا ذلك مع العرب فإن العرب قد حرصوا في العهد الذي أبرموه معهم على توفير كل سبل الحياة الكريمة لأقباط مصر، فهم أحرار في عقيد تهم، وشعائرهم، وسائر أمور حياتهم كما جاء في نص المعاهدة [٦].

كما كان احترام عمرو بن العاص لعادات المصريين ومعتقداتهم كبيراً، ولم يمنع عمرو بن العاص من عادات المصريين غير عادةٍ وحشيَّة تتنافى مع الإنسانية؛ وهي إلقاء جارية في كلِ سنة في نهر النِّيل؛ وذلك حسب معتقداتهم أنَهم يرضون إله النِّيل ليمن عليهم بارتفاع الماء وقت الفيضان، على نحو ما ذكره السيوطي[٧]:

" لما فتح عمرو بن العاص مصر، أتى أهلها إليه حين دخل بؤونة من أشهر العجم، فقالوا له: أيها الأمير، إن لنيلنا هذا سنة لا يجري إلا بها، فقال لهم: وما ذاك؟ قالوا: إذا كان لثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر، عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها، فأرضينا أبويها، وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النيل. فقال لهم عمرو: إن هذا لا يكون في الإسلام، وإن الإسلام يهدم ما قبله، فأقاموا بؤونة وأبيب ومسرى لا يجري قليلا ولا كثيرا، حتى هموا بالجلاء، فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب بذلك، فكتب إليه عمر: قد أصبت، إن الإسلام يهدم ما كان قبله، وقد بعثت إليك بطاقة فألقها في داخل النيل إذا أتاك كتابي. فلما قدم الكتاب على عمرو، فتح البطاقة فإذا فيها:

من عبد الله أمير المؤمنين إلى نيل مصر، أما بعد فإن كنت تجري من قبلك، فلا تجر، وإن كان الواحد القهار يجريك، فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك. فألقى عمرو البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بيوم، وقد تهيا أهل مصر للجلاء والخروج منها؛ لأنه لا يقوم بمصلحتهم فيها إلا النيل، فأصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله ستة عشر ذراعا، وقد زالت تلك السنة السوء عن أهل مصر".

٢- المظاهر الاجتماعية

كما وجه السيوطي اهتمامه لرصد بعض المظاهر السلوكية الخطيرة التي برزت في المجتمع المصري لا سيما في العصر الفاطمي والأيوبي والمملوكي، بسبب ضغط العاملين السياسي والاقتصادي، إذ أورد السيوطي العديد من الروايات التي تؤشر إلى فقدان الأمن في المجتمع المصري من جراء التهديد المستمر للصليبيين، حيث عانى هذا المجتمع من وطأة الحملات العسكرية المتكررة وما نتج عنها من اضطراب وهلع وخوف، ولم يكن بمقدور السكان تجنب الآثار المباشرة لهذا التهديد، وقد تجلى ذلك في تركهم للديار خشية على أرواحهم وأموالهم(٨).

ولعل ما ذكره السيوطي في أحداث الحملة الصليبية الخامسة سنة ٦١٦هـ/١٢٢٠م إلا تأكيد لذلك، إذ يقول ما نصه(٩):" حاصر الفرنج أهل دمياط، ووقعت حروب كثيرة يطول شرحها، وجدت الفرنج في المحاصرة، وعملوا عليهم خندقا كبيرا، وثبت أهل البلد ثباتا لم يسمع بمثله، وكثر فيهم القتل والجرح والموت، وعدمت الأقوات"، وكذلك ما قاله في أحداث الحملة الصليبية السابعة سنة ٦٤٧هـ/١٢٥٠م، ما نصه(١٠):" فلما كان سنة سبع وأربعين، هجمت الفرنج على دمياط، فهرب من كان فيها، واستحوذوا عليها".

وحاول السيوطي إعطاء صورة واضحة عن بعض المظاهر الاجتماعية التي سادت في المجتمع المصري، لا سيما المظاهر السلبية منها انتشار محال الخمر، وتفشي البغاء (١١)، ومما يظهر من مرويات السيوطي أن الدولة كانت تقوم بين الحين والآخر بإجراءات للحد من هذه الظواهر السلبية من ذلك صناعة الخمور وبيعها. ففي العصر الفاطمي ذكر السيوطي(١٢) أن الخليفة الحاكم٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م أمر سنة٣٩٣هـ/١٠٠٣م، بقطع جميع الكروم التي بديار مصر والصعيد، والإسكندرية ودمياط، فلم يبق بها كرم، احترازا من مصر الخمر، وفي سنة٤٠٣هـ/١٠١٣م،رسم بأحراق الزبيب وقطع الكرم، وغرق العسل(١٣).

وفي العصر المملوكي رصد السيوطي الإجراءات التي كان يقوم بها السلطان الظاهر بيبرس٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٦٠-١٢٧٧م لمحاربة أنتشار الرذائل والفواحش في المجتمع، وقد أمتدحه السيوطي على إصلاحاته تلك قائلا(١٤):" فأحسن في ذلك كل الإحسان"، ومن هذه الإجراءات التي قام بها السلطان في عهد السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٩م، على نحو ما ذكر السيوطي قائلا(١٥): "رسم السلطان بإراقة الخمور، وإبطال المفسدات والخواطئ من الديار المصرية والشامية، وحبست الخواطئ حتى يتزوجن، وكتب إلى جميع البلاد بذلك، وأسقطت الضرائب

التي كانت مرتبة عليها". إذ أصدر الظاهر بيبرس في هذه السنة فرماناً سلطانياً ألزم به الجند وكل ما له علاقة بإراقة الخمور في سائر الدولة المملوكية، وقتل كل من يحاول عصرها، وقد هدف الظاهر من ذلك تخريب هذه الصناعة التي كانت على ما يبدو تزاول كمهنة، وكذلك محاربة البغاء في مصر والشام.

وروى السيوطي[١٦] أنه في سنة٦٦٩ه/١٢٧١م، شدد السلطان الظاهر في أمر الخمور، وهدد من يعصرها بالقتل، وأسقط الضمان في ذلك، وكان ألف دينار كل يوم بالقاهرة وحدها، وكتب بذلك توقيع قرئ على منبر مصر والقاهرة، وسارت البرد بذلك إلى جميع انحاء البلاد. وحذا السلطان الناصر محمد أيضاً حذو الظاهر بيبرس، حيث أصدر فرماناً سلطانياً سنة ٧٢٤ه/١٣٢٤م رسم بموجبه بإبطال الملاهي بالديار المصرية، وحبس جماعة من النساء الزواني[١٧].

وذكر السيوطي[١٨] في أحداث السلطان الملك الصالح إسماعيل سنة(٧٤٤ه/١٣٤٤م)، سنة(٧٤٤ه/١٣٤٤م)، أن نائب السلطنة آل ملك[١٩] شدد على والي القاهرة في مسألة إراقة الخمر، ومنع المحرمات، وعاقب جماعة كثيرة على ذلك، وأخرب خزانة النبوذ، التي كانت دار فسق وفجور، وبنى مكانها مسجدا، "ونادى: من أحضر سكرانا، أو من معه جرة خمر خلع عليه. فقعد العامة لذلك بكل طريق، وأتوه بجندي سكران، فضربه وقطع خبزه، وأخلع على الآتي به، وصار له مهابة عظيمة، وكف الناس عن أشياء كثيرة، حتى أعيان الأمراء"، فقال بعض الشعراء يمتدح نائب السلطنة على أفعاله:

آل ملك الحاج غدا سعده ... يملأ ظهر الأرض فيما سلك
فالأمر أمن دونه سوقة ... والملك الظاهر هو آل ملك

٣- آثر العلماء في المجتمع المصري

وبين السيوطي[٢٠] دور العلماء في توجيه السلاطين وحثهم على إصدار القوانين التي تحد من أنتشار الرذائل والفواحش في المجتمع، على نحو ما ذكره في أحداث سنة ٧٧٥ه/١٣٧٤م، إذ ذكر أن السلطان الملك الأشرف شعبان٧٦٤-٧٧٨ه/١٣٦٣-١٣٧٧م:" أبطل ضمان المغاني ومكس القراريط التي كانت في ربيع الدور، وقرئ بذلك مرسوم على المنابر، وكان ذلك بتحريك البلقيني[٢١]".

وأشار السيوطي أيضاً إلى دور السلاطين والعلماء في مواجهة الأزمات التي لها علاقة بالقحط أو جفاف نهر النيل، وإصلاح الأحوال المعاشية للسكان، ففي عهد السلطان الكامل محمد ابن العادل سيف الدين سنة٦٢٨ه/١٢٣١م ذكر[٢٢]:" كان غلاء شديد بديار مصر، وبلغ النيل ستة عشر ذراعا وثلاثة أصابع فقط، بعد توقف عظيم،

ووصل القمح خمسة دنانير الإردب، فرسم السلطان بفتح الأهراء وشون الأمراء، وأن يباع بثمانين درهما الإردب من غير زيادة، فانحط السعر إليه".

وفي عهد السلطان الظاهر بيبرس سنة٦٦٢ه/١٢٦٤م، حل بمصر غلاء عظيم، فقام السلطان الظاهر بيبرس بتوزيع الفقراء على الأمراء والأغنياء، وألزمهم بإطعامهم، وفرق هو قمحا كثيرا، ورتب كل يوم للفقراء مائة إردب تخبز، وتفرق عليهم[٢٣]،وكان يخرج كل سنة جملة مستكثرة يستفك بها من حبس القاضي من المفلسين، وكان يرتب في أول رمضان مطابخ لأنواع الأطعمة برسم الفقراء والمساكين، ووقف وقفا على تكفين أموات الغرباء[٢٤].

كما كان يطلب السلطان من القضاة والمشايخ والعلماء بالتوجه إلى المساجد لتلاوة القرآن والدعاء في حالة زيادة أو نقصان النيل، كما حصل في سنة ٦٧٣ه/١٢٧٥م، حيث زاد النيل زيادة مفرطة، فاجتمع الناس في جامع الأزهر، وجامع عمرو، وسألوا الله في هبوطه[٢٥].

وفي أحداث عهد الظاهر بيبرس سنة ٦٧٥ه/١٢٧٧م ذكر السيوطي[٢٦] ما نصه:" توقف النيل عن الزيادة، وأبطأ ، واجتمع العلماء والصلحاء بجامع عمرو، واستسقوا، وكسر الخليج ، ثم نودي بصيام ثلاثة أيام، وخرجوا إلى الصحراء مشاة، وحضر غالب الأعيان ومعظم العوام وصبيان المكاتب، ونصب المنبر، فخطب عليه شهاب الدين القسطلاني خطيب جامع عمرو، وصلى صلاة الاستسقاء، ودعا وابتهل، وكشف رأسه واستغاث وتضرعوا، وكان يوما مشهودا".

ولما كانت أغلب القرارات التي تريد السلطة من رجال الدين التصديق عليها تنحصر في جمع الأموال من الشعب والتعدي على ممتلكاته سواء بفرض الضرائب أو مصادرة الأملاك أو التعدي على مال الوقف والأيتام، كل ذلك تحت شعار الجهاد من أجل الحروب أو النفقة على الجند لحملة ما؛ وسبب ذلك أن الخزانة خالية من المال ولا تفي باحتياجات الجند لدفع العدو وقد حصل مثل ذلك عندما هاجم المغول بلاد الشام، عندها طلب الظاهر بيبرس من العلماء بإصدار فتوى لجمع المال، وفي تلك الحالة أفتى العلماء بأخذ مال من الرعية لدفع التتار، وقد بين السيوطي دور العالم محيي الدين النووي، الذي امتنع عن الإفتاء، وعندما استدعاه بيبرس لذلك قال له:" اكتب خطك مع الفقهاء، فامتنع. فقال: ما سبب امتناعك؟ فقال: أنا أعرف أنك كنت في الرق للأمير بندقدار، وليس لك مال. ثم من الله عليك، وجعلك ملكا. وسمعت أن عندك ألف مملوك، كل مملوك له حياصة من ذهب، وعندك مائتا جارية، لكل جارية حق من الحلي، فإذا أنفقت ذلك كله، وبقيت مماليك بالبنود الصوف بدلا عن الحوائص، وبقيت الجواري بثيابهن دون الحلي، أفتيتك بأخذ المال من الرعية.

فغضب الظاهر من كلامه، وقال: اخرج من بلدي -يعني دمشق- فقال: السمع والطاعة! وخرج إلى نوى، فقال الفقهاء: إن هذا من كبار علمائنا وصلحائنا، وممن يقتدى به، فأعده إلى دمشق، فرسم برجوعه. فامتنع الشيخ، وقال: لا أدخلها والظاهر بها"[٢٧]. ما يدل على أن بيبرس ومماليكه لهم الكثير من الأموال، فقال له: في حالة عدم وجود ذلك المال أفتيك بأخذ أموال الرعية فغضب السلطان منه ونفاه لبلده نوى.

وكان أخذ الفتوى للتعدي على الأوقاف ومال الأيتام نوعاً آخر يستدعي إجراءات مختلفة، وكانت أشهر تلك الإجراءات التي ذكرها السيوطي[٢٨] لحل الأوقاف في ذي الحجة ٧٧٨ه/١٣٧٧م عندما أراد الأتابكي برقوق من رجال الدين والعلماء ذلك لأجل الجيش الذي لم يجد ما يتسلح به لدفع العدو، وذكر أن أراضي بيت المال أخذت منه بالحيلة، وجعلت أوقافا من بعد الناصر بن قلاوون، وضاق بيت المال بسبب ذلك، وكان البلقيني قد أشار من قبل بعدم التعرض للأوقاف، وقال: أما ما وقف على خديجة وعويشة وفطيمة فنعم، وأما ما وقف على المدارس والعلماء والطلبة فلا سبيل إلى نقضه؛ لأن لهم في الخمس أكثر من ذلك.

٤- المناسبات الاجتماعية

وأخذت المناسبات الاجتماعية حيزا من حسن المحاضرة، إذ تحدث السيوطي عن مظاهر الاحتفال الكبير الذي كان يجري سنوياً بمناسبة الحج وخروج المحمل السلطاني[٢٩]، وذلك لأهميته في حياة المسلمين، فهو من أجلّ العبادات[٣٠]،وهو فريضة لتطهير النفس من الذنوب والآثام، وتوحيد الأمة، وللحج مظاهر في التكافل والتواصل الاجتماعي في صلة الخلان والأتراب، فهو يعزز التماسك واللحمة الاجتماعية، وتعّزز فيه العلاقات حيث يودع الحاج عند سفره، ويهنأ عند قدومه، لما في الأسفار أيضاً من مخاطر، وموقع الاختلاف وحدوث الفتن[٣١]، فتكون الفرصة غامرة والسعادة كبيرة حينما ينهي الحاج مناسك الحج.[٣٢]

وقد جعل القلقشندي الاحتفالات بالحج ميزة يمتاز بها صاحب مصر على ملوك الأرض والمسلمين[٣٣].اذ كان ليل مصر يتحول أيام دوران المحمل إلى نهار بفعل مئات المشاعل والفوانيس والشموع المقادة في الأسواق والحوانيت وفي أيدي الناس السائرين في الطرقات[٣٤]، واتخذت التهنئة بالحج شكل الخطابات الرسمية[٣٥].

والواقع أن السيوطي أولى الحج عناية كبيرة، وتحدث كثيراً عن موسمه وأحواله، من ذلك ما ذكره [٣٦] في أحداث سنة٤٣٠ه/١٠٣٩م: "تعطل الحج من الأقاليم بأسرها، فلم يحج أحد، لا من مصر ولا من الشام، ولا من العراق ولا من

خراسان"، وفي أحداث سنة٤٣١ه/١٠٤٠م تطرق أنه [٣٧]: "في سنة إحدى وثلاثين والتي تليها تفرد بالحج أهل مصر، وكذا في سنة ست وثلاثين وسبع وثلاثين وتسع وثلاثين وثلاث وستين بعدها". وذكر[٣٨] في أحداث سنة ٧٩٠ه/١٣٨٨م:"أصاب الحاج في رجوعهم عند ثغرة حامد سيل عظيم، أهلك خلقا كثيرا".

وأشار السيوطي[٣٩] الى حج السلطان الظاهر بيبرس وإحسانه الى أهل الحرمين في سنة ٦٦٧ه/١٢٦٩م، وغسله الكعبة بماء الورد بيده، وكذلك ذكر[٤٠] في احداث سنة ٦٧٥ه/١٢٧٧م، "طيف بالمحمل، وبكسوة الكعبة المشرفة بالقاهرة، وكان يوما مشهودا"، وذكر السيوطي[٤١] مثل ذلك في سنة ٦٨١ه/١٢٨٣م، إذ طافوا بكسوة الكعبة، ولعبت مماليك الملك المنصور قلاوون أيام الكسوة بالرماح والسلاح؛ وهو أول ما وقع ذلك بالديار المصرية.

بل أن السيوطي وضع خريطة جغرافية لمسير المحمل السلطاني قائلا[٤٢]:" المحامل السلطانية وجماهير الركبان لا تخرج إلا من أربع جهات: مصر، ودمشق، وبغداد، وتعز..."، وقدم السيوطي وصفا عن وضع خروج المحمل قائلا[٤٣]:" فيخرج الركب من مصر بالمحمل السلطاني، والسبيل والمسبل للفقراء والضعفاء والمنقطعين بالماء والزاد والأشربة والأدوية، والعقاقير والأطباء والكحالين والمجبرين، والإدلاء والأئمة والمؤذنين والأمراء، والجند والقاضي والشهود والدواوين والأمناء ومغسل الموتى؛ في أكمل زي، وأتم أهبة، وإذا نزلوا منزلا أو رحلوا مرحلا تدق الكوسات[٤٤]، وينفر النفير ليؤذن الناس بالرحيل والنزول".

كما وأكد السيوطي[٤٥] على اهتمام المصريين في احتفالاتهم بالأعياد الإسلامية، كعيدي الفطر والأضحى، حيث كانوا يتبارون في الجود والسخاء في سبيل إحياء هذه الأعياد ويمدون فيها الأسمطة[٤٦] للفقراء والمساكين[٤٧].

وكذلك وجه السيوطي اهتمامه لبعض الاحتفالات العامة التي يشترك فيها جميع الناس من مختلف الطوائف، ولاسيما الاحتفالات التي كانت تجري بمناسبة تولي السلاطين الحكم في الدولة المملوكية، حيث ذكر أن البشائر كانت تقام بالقلعة كإيذان بإعلان تولية السلطان الجديد، وبعدها يقوم المعنيون في تعليق مظاهر الزينة في كافة أنحاء البلاد، ثم ترسل بها المكاتبات المهنئة بجلوس السلطان الجديد إلى مختلف جهات الدولة على نحو ما ذكر السيوطي[٤٨] بمناسبة تولية السلطان الظاهر بيبرس السلطنة من قبل الخليفة العباسي سنة٦٥٩ه/١٢٦١م :"ثم ركب السلطان بهذه الأبهة والقيد في رجليه، والطوق في عنقه، والوزير بين يديه، وعلى رأسه التقليد، والأمراء والدولة مشاة سوى القاضي والوزير. فشق القاهرة وقد زينت له، وكان يوما عظيما". وعندما اعتلى الخليفة المستكفي بالله سدة الخلافة سنة٧٠١-

٧٤١ه/١٣٠٢-١٣٤٠م، وخطب له على المنابر بالبلاد المصرية والشامية، قال السيوطي[٤٩]:"وسارت البشارة بذلك إلى جميع الأقطار والممالك الإسلامية".

وذكر السيوطي[٥٠] أيضاً بعض المظاهر التي ترافق أتراح المسلمين، اذ ذكر في سنة٦٨٩ه/١٢٩٠م عند وفاة السلطان المنصور قلاوون ما نصه: " ثم أمر الأشرف بقراءة ختمة عند قبر الملك المنصور في ليلة الاثنين رابع ذي القعدة، فحضرها القضاة والأمراء والأعيان، ونزل السلطان ومعه الخليفة إليهم وقت السحر، وخطب الخليفة بعد الختمة خطبة بليغة".

ومن المناسبات الاجتماعية التي أشار إليها السيوطي[٥١] مناسبة الزواج، فهو من المناسبات التي قدم فيها الكتَّاب معاني البهجة والسرور في تهانيهم، ولأهمية المصاهرة؛ وضع الكتَّاب أصول للمكاتبة فيها[٥٢]، فقد ذكر السيوطي[٥٣] في أحداث سنة ٢٨٢ه/٨٩٦م، زواج بنت خمارويه[٥٤]بن أحمد بن طولون، قطر الندى[٥٥] من الخليفة العباسي المعتضد[٥٦]، "ونقل أبوها في جهازها ما لم ير مثله، وكان من جملته ألف تكة بجوهر وعشرة صناديق جوهر، ومائة هون ذهب، ثم بعد كل حساب معها مائة ألف دينار لتشتري بها من العراق ما قد تحتاج إليه مما لا يتهيأ مثله بالديار المصرية". وبهذه المناسبة قال أحد الشعراء مادحا الخليفة وزوجته:

يا سيد العرب الذي وردت له ... باليمن والبركات سيدة العجم
فاسعد بها كسعودها بك إنها ... ظفرت بما فوق المطالب والهمم
شمس الضحى زفت إلى بدر الدجى ... فتكشفت بهما عن الدنيا الظلم[٥٧]

ومن المناسبات الأخرى التي ذكرها السيوطي، الاحتفال الذي كان يقيمه المصريون بجميع طوائفهم، وهو الاحتفال بوفاء النيل؛ لأن حياة مصر كلها تتوقف على فيضان النيل الذي هو مصدر ثروتها، وقد حرص المصريون على مراقبة زيادة النيل، فإذا حصلت زيادة "حصل الاستبشار بذلك"[٥٨] ، وأما إذا تأخر أو توقف عن الزيادة، يعم الناس القلق وترتفع الأسعار، ويتزاحم الناس على شراء الغلال، كما حصل في سنة ٥٩٦ه/١٢٠٠م، نحو ما قاله السيوطي[٥٩]:" كسر النيل من ثلاثة عشر ذراعا إلا ثلاثة أصابع، فاشتد الغلاء، وعدمت الأقوات، ووقع البلاء وعظم الخطب" .

لذا أهتم المصريون بوفاء النيل وكانت تجري احتفالات رسمية وشعبية بمشاركة كبار علماء الدين، وكانت تُكتب بشارة وفاء النيل ثم تعلن على المصريين في شتى الربوع بأمر الوالي، وذكر القلقشندي[٦٠]:"وهذه المكاتبة من خصائص الديار المصريّة، لا يشاركها فيها غيرها من الممالك. ولم يزل القائمون بالأمر بالديار المصريّة من قديم الزمان وهلمّ جرّا يكتبون بالبشارة بذلك إلى ولاة الأعمال اهتماما

بشأن النّيل، وإظهارا للسّرور بوفائه، الّذي يترتب عليه الخصب المؤدّي إلى العمارة وقوام المملكة، وانتظام أمر الرّعيّة".

وأورد السيوطي[٦١] كتاب بشارة بوفاء النيل، من أنشاء القاضي الفاضل ما نصه:" نعم الله سبحانه وتعالى من أضوائها بزوغا، وأخفاها سبوغا، وأصفاها ينبوعا، وأسناها منفوعا، وأمدها بحر مواهب، وزختمها حسن عواقب. النعمة بالنيل المصري الذي يبسط الآمال، ويقبضها مده وجزره، ويرمي النبات حجره، ويحيي مطلعه الحيوان، ويجني ثمرات الأرض صنوانا وغير صنوان، وينشر مطوي حريريها وينشر مواتها..." ، كما يورد ما كتبه الأديب تقي الدين أبو بكر ابن حجة، بشارة عن السلطان المملوكي الملك المؤيد شيخ ٨١٥-٨٢٤ه/١٤١٢-١٤٢١م في سنة ٨١٩ هـ /١٤١٧م ما نصه:"ونبدي لعلمه الكريم ظهور آية النيل الذي عاملنا الله فيه بالحسنى وزيادة، وأجراه لنا في طرق الوفاء على أجمل عادة، وخلق أصابعه ليزول الإيهام فأعلن المسلمون بالشهادة، **كسر** بمسرى فأمسى كل قلب بهذا الكسر مجبورا، وأتبعناه بنوروز وما برح هذا الاسم بالسعد المؤيدي مكسورا..."[٦٢].

وأما ما يخص احتفالات الطوائف الأخرى غير المسلمة، فقد رصد السيوطي[٦٣] الاحتفالات التي كانت تجري في أعياد النصارى ومنها النيروز الذي كان يجري في أول رأس السنة القبطية، حيث كان يجتمع العامة في ذلك اليوم في الطرقات، وعيد الشهيد إذ كان النصارى عندهم تابوت فيه إصبع، يزعمون أنه من أصابع بعض شهدائهم، وأن النيل لا يزيد ما لم يلق فيه هذا التابوت، وكان يجتمع النصارى من سائر النواحي إلى شبرا، ويقع أمور فظيعة؛ من سكر وغيره، لذا عمد ركن الدين بيبرس الجاشنكير[٦٤] في سنة ٧٠٢ه/١٣٠٣م الى إبطاله[٦٥].

٥-مكانة المرأة في المجتمع

ولم يغفل السيوطي عن الحديث عن مكانة المرأة ودورها في الحياة الاجتماعية، فقد أسهمت المرأة بنصيب وافر في الحياة العامة لاسيما في مجال البر والإحسان والصلاح والعبادة، وقد ترجم السيوطي لعدد من النساء، ولاسيما اللواتي توفين في القرنين السابع والثامن الهجريين/الثالث والرابع عشر الميلاديين، إذ بلغ عدد النساء اللواتي ترجم لهن نحو(١٥) امرأة، وكان لهن نصيب كبير في مختلف مجالات الحياة العلمية والعملية، ومثال ذلك الشيخة فاطمة بنت عباس، المتوفية سنة ٧١٤ه/١٣١٥م ذكرها السيوطي بقوله[٦٦]:" الشيخة العالمة الفقيهة الزاهدة الفاتنة الواعظة، سيدة نساء زمانها، أم زينب. كانت وافرة العلم، حريصة على النفع

والتذكير، ذات إخلاص وحشمة وأمر بالمعروف؛ انصلح بها نساء دمشق ثم نساء مصر. وكان لها قبول زائد، ووقع في النفوس".

وفي الوقت ذاته أشار السيوطي في مروياته الى القيود الاجتماعية التي فرضتها التقاليد على المرأة في العصرين الفاطمي والمملوكي ففي أحداث سنة ٤٠٣ه/١٠١٣م ذكر [٦٧]:" رسم الحاكم بحبس النساء ومنعهن من الخروج في الطرقات"، وذكر[٦٨] أنه في سنة ٤٠٥ه/١٠١٥م "زاد الحاكم في منع النساء من الخروج من المنازل، ومن دخول الحمامات ومن التطلع من الطاقات، والأسطحة ومنع الخفافين من عمل الخفاف لهن، وقتل خلقا من النساء على مخالفته في ذلك، وهدم بعض الحمامات عليهن، وغرق خلقا".

وأشار السيوطي الى النكبة العظيمة التي قام بها خليفة مصر الظاهر بن الحاكم[٦٩] سنة ٤٢٣ه/١٠٣٢م، مما جعلته يعقب ويقول[٧٠]:" فلا رحمه الله ولا رحم الذي خلفه"، واستعرض الحادثة بقوله[٧١]:" إذ استحضر كل من في القصر من الجواري، وقال لهم: تجتمعون لأصنع لكم يوما حسنا لم ير مثله بمصر، وأمر كل من كان له جارية فليحضرها، ولا تجيء جارية إلا وهي مزينة بالحلي والحلل، ففعلوا ذلك حتى لم تترك جارية إلا أحضرت، فجعلهن في مجلس، ودعا بالبنائين، فبنى أبواب المجلس عليهن، حتى ماتوا عن آخرهن، وكان يوم جمعهن يوم الجمعة لست من شوال، وعدتهن ألفان وستمائة وستون جارية، فلما مضى لهن ستة أشهر أضرم النار عليهن، فأحرقهن بثيابهن وحليهن"!.

وفي العصر المملوكي استمر فرض هذه القيود ففي أحداث سنة ٧٩٣ه/١٣٩١م، ذكر السيوطي[٧٢] أن نائب الغيبة كتبغا أمر ألا تخرج النساء إلى الترب بالقرافة وغيرها، ومنع النساء من لبس القمصان الواسعة الأكمام وشدد في ذلك. والواقع أن هذه القيود التي فرضت على المرأة لا تعطي إشارة سلبية تقلل من شأنها ولا تعكس مكانتها، فقد حظيت المرأة بمكانة محترمة، ونظر الملوك والسلاطين إلى نسائهم نظرة تفيض بالإجلال والتقدير وخصصوا لهن الألقاب مثل خوند وخاتون[٧٣]. وذلك من باب الفخر والتزكية والثناء والتبجيل.

لكن وبسبب حالة الترف التي كانت سائدة في تلك الفترة، وانتشار ظاهرة التبرج والسُّفور وما كانت عليه المرأة من إسراف في الزينة وبالغت فيما تبديه من فنونها أو وضع مقاسات محدده لما ترتدي من ثياب وعصائب، الذي هو مظهر من مظاهر الجاهلية التي حاربها الإسلام، وقد نهى اللهُ تعالى عن ذلك، بقوله﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾[٧٤]، جعلت السلاطين يشملون المرأة في

موضوع الحسبة، وليس أدل على ذلك من التقليد الذي اصدره الملك الأفضل الأيوبي الذي صور فيه وضع المرأة في تلك الفترة، جاء فيه: "والنساء في هذا المقام أشد تهالكًا من الرجال، وقد ابتذلن أنفسهن حتى أفرطن في فاحشة الابتذال، ولهن محدثات من المنكر أحدثها كثرة الإرفاه والإتراف، وأهمل إنكارها حتى سرت في الأوساط والأطراف، وقد أحدثن الآن من الملابس ما لا يخطر للشيطان في حساب، وتلك من لباس الشهرة الذي لا يستر منه إسبال مرط[٧٥]، ولا إدناء جلباب، ومن جملتها أنهن يعتصبن عصائب كأمثال الأسنمة[٧٦]، ويخرجن من جهارة أشكالها في الصور المعلمة، وقد أخبر رسول الله(صلى الله عليه وسلم) بها فيما ورد عنه من الأخبار[٧٧]، وجعل صاحبها معدودًا من زمرة أصحاب النار"[٧٨].

لذا فأن الاحتساب على النساء شمل أغطية الرأس والأقدام، ومنعهن من ويلزم المحتسب أن يتفقد المواضع التي يجتمع فيها النساء مثل الأسواق وشطوط الأنهار، وأبواب حمامات النساء[٧٩].وكذلك منع النساء مما أحدثنه من عمامات كبيرة وطواقي شبيه بزي الرجال، وما ذلك.

٦-موقف الدولة من اهل الذمة

ووردت في حسن المحاضرة كثير من الإشارات التي ترصد علاقة وموقف الدولة الاسلامية بالأقليات غير المسلمة في مصر، في العصرين الفاطمي والمملوكي ففي الوقت الذي كان أبناء هذه الأقليات يتمتعون بقدر كبير من الحرية الدينية التي منحها إياهم الحكام المسلمين من خلال ممارستهم لطقوسهم، فضلاً عن تبوئهم المناصب الجليلة في الدولة ومن ذلك الوزارة والكتابة[٨٠]، من أمثال ابن أبي الدم اليهودي، ويعقوب بن كلس، والعلاء بن الحسن بن وهب بن الموجلايا[٨١]، وأبو المنصور بن حورس النصراني[٨٢]، وأشار السيوطي[٨٣]الى تولي النصارى أمر مقياس النيل بالروضة، فضلاً عن خبرتهم في الطب، مما أهلهم لتبوء مناصب جليلة من أمثال: سعيد بن البطريق وهو طبيب نصراني له مؤلفات كثيرة توفي سنة ٣٢٨ه/٩٤٠م [٨٤].

لكن لم تكن حال أهل الذمة واحدة في ذلك العصر، بل كانت طريقة معاملتهم متقلبة بين اللين والشدة. ويورد حسن المحاضرة كثيراً من الصور التي تؤكد هذا، ومنها تلك المراسيم التي كانت تصدر بحق هؤلاء، ففي سنة ٦٦٣ه/١٢٦٥م، وقع حريق عظيم بمصر، اتهم به النصارى، فعاقبهم السلطان عقوبة عظيمة[٨٥]، وفي سنة٦٦٦ه/١٢٦٨م، ذكر السيوطي[٨٦]: كانت كائنة الحبيس النصراني، الذي كان

كاهنا ثم ترهب وأقام بمفازة بجبل حلوان، فقيل: إنه ظفر بكنز للحاكم صاحب مصر، فواسى منه الفقراء والمستورين من كل ملة، واشتهر أمره وشاع ذكره، وأنفق في ثلاث سنين أموالا عظيمة، فأحضره السلطان، وتلطف به، فأبى عليه أن يعرفه بجلية أمره، وأخذ يراوغه ويغالطه، فلما أعياه حنق عليه، وبسط عليه العذاب فمات. وقد أفتى غير واحد بقتله خوفا على ضعفاء الإيمان من المسلمين أن يضلهم ويغويهم.

وفي أحداث سنة٧٢١ه/١٣٢٢م، ذكر السيوطي[٨٧]: كان قد وقع حريق كبير بالقاهرة متتابع خارج عن الوصف، ودام أياما في أماكن، وأحرق جامع ابن طولون وما حوله بأسره، ثم ظفر بفاعليه، وهم جماعة من النصارى يعملون قوارير النفط، فقتلوا وأحرقوا، وهدم غالب كنائس النصارى بمصر، ونهب الباقي، وبقيت القاهرة أياما لم يظهر فيها أحد من النصارى، وبقي لا يظهر نصراني إلا ضربه العوام، وربما قتلوه. وفي شعبان من سنة ٧٠٠ه/١٣٠١م، أمر بمصر والشام اليهود بلبس العمائم الصفر، والنصارى بلبس الزرق، والسامرة[٨٨] بلبس الحمر، وقال أحد الشعراء في ذلك:

لقد ألزموا الكفار شاشات ذلة ... تزيدهم من لعنة الله تشويشا
فقلت لهم: ما ألبسوكم عمائما ... ولكنهم قد ألبسوكم براطيشا[٨٩]

وفي سنة٧٠٩ه/١٣١٠م ذكر السيوطي[٩٠]: تكلم الوزير في إعادة أهل الذمة إلى لبس العمائم البيض بالعلائم، وأنهم قد التزموا للديوان بسبعمائة ألف في كل سنة زيادة على الجالية، فسكت أهل المجلس، وقام الشيخ تقي الدين بن تيمية، وتكلم كلاما عظيما، ورد على الوزير مقالته، وقال للسلطان: حاشاك أن تكون ممن ينصر أهل الذمة! فأصغى إليه السلطان، واستمر لبسهم للأصفر والأزرق، ثم عمد ذلك ببغداد أيضا في سنة أربع وثلاثين اقتداء بملك مصر. وفي سنة ٧٥٥ه/١٣٥٥م، أمر بأن يكون إزار النصرانية ازرق وإزار اليهودية أصفر، وإزار السامرية أحمر[٩١].

وفي بعض الأحيان لاسيما الذين يعملون في الدواوين كان يفرض عليهم اعتناق الإسلام قسراً، وهو ما ذكره السيوطي في أحداث سنة ٣٩٨ه/١٠٠٨م قائلا[٩٢]:"هدم الحاكم الكنائس التي ببلاد مصر، ونادى: من لم يسلم وإلا فليخرج من مملكتي، أو يلتزم بما أمر، ثم أمر بتعليق صلبان كبار على صدور النصارى، وزن الصليب أربعة أرطال بالمصري، وبتعليق خشبة على تمثال رأس عجل وزنها ستة أرطال في عنق اليهود".

الخاتمة

بعد هذه الجولة في كتاب حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للدراسة الجوانب الاجتماعية التي تتعلق بحياة الناس في عصور مصر الإسلامية يمكن تسجيل النتائج الاتية:

١- فقد عمل الفاتحون بوصية نبيهم(صلى الله عليه وسلم)، من الاحسان الى القبط وهم أهل مصر وعدم التعرض لهم بسوء، فقد كان القبط الذين كانوا بالفرما لعمرو بن العاص أعواناً، فقد أصلحوا لهم الجسور والأسواق، عندما كانوا قاصدين الإسكندرية.

٢ـ كما وأبرزت الدراسة دور العلماء في الوقوف بوجه السلطة في جمع الأموال من الشعب والتعدي على ممتلكاته سواء بفرض الضرائب أو مصادرة الأملاك أو التعدي على مال الوقف والأيتام، كل ذلك تحت شعار الجهاد من أجل الحروب أو النفقة على الجند لحملة ما.

٣ـ كما وجهت الدراسة أهمية لرصد بعض المظاهر السلوكية الخطيرة التي برزت في المجتمع المصري لا سيما في العصر الفاطمي والأيوبي والمملوكي، بسبب ضغط العاملين السياسي والاقتصادي، منها انتشار محال الخمر، وتفشي البغاء، ورصدت الإجراءات التي كان يقوم بها السلاطين لمحاربة أنتشار الرذائل والفواحش في المجتمع.

٤ـ ولم يغفل السيوطي عن الحديث عن مكانة المرأة ودورها في الحياة الاجتماعية، فقد أسهمت المرأة بنصيب وافر في الحياة العامة لاسيما في مجال البر والإحسان والصلاح والعبادة، وقد ترجم لعدد من النساء.

٥ـ ورصدت الدراسة علاقة وموقف الدولة الاسلامية بالأقليات غير المسلمة في مصر(أهل الذمة)، ابتداءً من الفتح الإسلامي لمصر.

هوامش البحث

(١) ينظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر(ت٩١١ه/١٥٠٥م): حسن المحاضرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه (القاهرة، ١٩٦٧)، ج١، ص١٣.

(٢) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب(ت ٣٦٠هـ/٩٧١م)، المعجم الكبير، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ج٢٣، ص٢٦٥.

(٣) حسن المحاضرة، ج١، ص١١١.

(٤) حسن المحاضرة، ج١، ص١٠٧.

(٥) حسن المحاضرة، ج١، ص١١٨.

(٦) "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم، وبرهم وبحرهم، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص، ولا يساكنهم النوب وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح...". ينظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك،ط٢، دار التراث (بيروت، ١٣٨٧ه) ، ج٤، ص١٠٩.

(٧) حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٥٣.

(٨) ينظر: حسن المحاضرة، ج١، ص٢٨، ج٢، ص٣-٢٤.

(٩) حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٩٤.

(١٠) حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٥.

(١١) حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٩٦.

(١٢) حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٨١.

(١٣) حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٨٣.

(١٤) حسن المحاضرة، ج٢، ص٩٦.

(١٥) حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٩٦.

(١٦) حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٩٦.

(١٧) حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٠١.

(١٨) حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٠٣.

(١٩)الأمير الكبير سيف الدين الحاج آل ملك الجوكندار، تولى نيابة السلطنة بالديار المصرية ، وأصله من كسب الأبلستين في عهد الظاهر بيبرس في سنة ست وسبعين وستمائة، واشتراه قلاوون، وآل ملك هذا هو صاحب الدار العظيمة بالقرب من باب مشهد الحسين- رضى الله عنه-

وله هناك مدرسة تعرف به، وهو صاحب الجامع بالحسينية. وصف بأنه كان خيرا ديّنا عفيفا مثريا، كان يقول: كلّ أمير لا يقيم رمحه ويسكب الذهب حتى يساوى السّنان ما هو أمير، قتل في أيام الملك الكامل شعبان سنة(٧٤٧ه/١٣٤٦م).ينظر: ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي الأتابكي(ت٨٧٤ ه/ ١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب(مصر، ١٩٣٠)،ج١٠، ص١٧٧.

(٢٠) حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٠٥.

(٢١) شيخ الإسلام أبو حفص عمر بن رسلان بن نصير بن صالح البلقيني نزيل القاهرة ، علم الأعلام مفتي الأنام ولد سنة٧٢٤ هـ أقدمه أبوه القاهرة وله اثنتا عشرة سنة فبهرهم بذكائه وكثرة محفوظه وسرعة إدراكه وعرض عليه محافيظه ورجع، غير أنه لم يرزق ملكة في التصنيف، وقد لازمه الحافظ ابن حجر مدة، وقرأ عليه الكثير من الروضة، ومن كلامه على حواشيها، وسمع عليه بقراءة البرماوي مختصر المزني، وكتب له خطه بالإذن بالإعادة وهو أول من أذن له في التدريس والإفتاء، وتبعه غيره توفي سنة ٨٠٥ه. ينظر: أبن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد(ت٨٥٢ه/١٤٤٨م)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية (بيروت، د.ت)، ج١، ص١٠٥.

(٢٢) حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٩٤.

(٢٣) حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٩٥.

(٢٤) حسن المحاضرة، ج٢، ص٩٦.

(٢٥) حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٠٤.

(٢٦) حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٠٤.

(٢٧) حسن المحاضرة، ج٢، ص١٠٥.

(٢٨) حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٠٥.

(٢٩) وهو" الاحتفال بدوران المحمل (الهودج الكبير الحجاجي)، كان يحدث مرتين في السنة، الأولى في شهر رجب والثانية في شهر شوال، وأول من أستحدثها هو السلطان الظاهر بيبرس، والغرض من تدوير المحمل في هذا الوقت المبكر من السنة؛ هو أعلام الناس أن الطريق من مصر إلى الحجاز آمن، وأن من شاء الحج فلا يتأخر ولا يتخوف من الطريق، وبذلك "تهيج العزمات وتبعث الأشواق وتتحرك البواعث فيأخذ من يشاء في التأهب للحج". ينظر: المطرزي، ناصر بن عبد السيد (ت٦١٠ه/١٢١٤م)، المغرب، دار الكتاب العربي (د. ت)، ص١٢٩

(٣٠)القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية (بيروت، د.ت)، ج٨، ص٣٩٩.

(٣١) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٨، ص٣٣٩.

٣٢

(٣٣) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص٢٧٣.

(٣٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٥٠٧.

(٣٥) ومن ذلك ما ذكره القلقشندي:" جعل الله سعيك مشكورا، وحجّك مبرورا، ونسكك مقبولا، وأجرك مكتوبا، وأجزل من المثوبة جزاءك، ومن عاجل الأجر وآجله عطاءك، وقرن بالطاعات عزماتك، وبالسّعي إلى الخير نهضاتك، ووفّقك من صالح الأعمال، وزكيّ الأفعال، لما يجمع كلّ خير الدارين. ولمّا طرقتني البشارة بقدومك، بدأت بإهداء الدعاء، وتجديد الشكر لله تعالى والثّناء...". ينظر: صبح الأعشى، ج٩، ص٣٢.

(٣٦) حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٨٦.

(٣٧) حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٨٦.

(٣٨) حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٠٧.

(٣٩) حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٩٦.

(٤٠) حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٩٦.

(٤١) حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٩٧.

(٤٢) حسن المحاضرة، ج٢، ص٣١٠.

(٤٣) حسن المحاضرة، ج٢، ص٣١٠.

(٤٤) وهي صنوجات من نحاس شبه التّرس الصغير، يدقّ بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص، ومع ذلك طبول وشبّابة، يدق بها مرتين في القلعة في كل ليلة، ويدار بها في جوانبها مرة بعد العشاء الآخرة، ومرة قبل التسبيح على الموادن، وتسمّى الدّورة بذلك في القلعة، وكذلك إذا كان السلطان في السفر تدور حول خيامه.ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص٨.

(٤٥) حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٧٦.

(٤٦) السماط : ما يبسط على الأرض لوضع الأطعمة وجلوس الأكلين، ويطلق أحياناً على المائدة السلطانية، وكانت تمد طرفي النهار من كل يوم أسمطة جليلة لعامة الأمراء ومنها ثلاثة ، واحداً بعد واحد في الزمان : الأول لا يأكل منه السلطان، والثاني بعده يسمى الخاص ، قد يأكل منه السلطان وقد لا يأكل، ثم الثالث بعده ويسمى الطاريء ومنه مأكول السلطان. ينظر: دهمان، محمد أحمد ، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر(بيروت، ١٩٩٠)، ص٩٢.

(٤٧) ابن قاضي شهبه، أبو بكر بن أحمد(ت٨٥١هـ/١٤٤٧م): الكواكب الدرية في السيرة النبوية، تحقيق محمود زايد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧١،ص٢٢٨.

(٤٨) حسن المحاضرة، ج٢، ص٥٨.

(٤٩) حسن المحاضرة، ج٢، ص٦٢.

(٥٠) حسن المحاضرة، ج٢، ص١١١.

(٥١) حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٧٧.

(٥٢) منها ما ذكره القلقشندي:" الرّقاع في التماس الصّهر والمواصلة يجب أن تكون مبنيّة على وصف المخطوب إليه بما يقتضي الرّغبة، ويدل الخاطب عن نفسه بما يؤدّي إلى الكفاية والإسعاف بالطّلبة، وينبغي للكاتب أن يودعها من ألفاظ المعاني المنتظمة في هذا الباب أوقعها في النّفوس، وأعودها بتقريب المرام، وأدلّها على صدق القول فيما تكفّله من حسن معاشرة، ولين معاملة، وأن يذهب بها إلى الاختصار والإيجاز". ينظر: صبح الأعشى، ج٩، ص١٦٠.

(٥٣) حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٧٧؛ للمزيد ينظر: ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد(ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٩م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير (بيروت، ١٩٨٦) ، ج٣، ص٣٣٤.

(٥٤) أبو الجيش محمد بن عبدة بن حرب، متولّي مصر والشام، وحمو المعتضد بالله . وصف بأنه كان شهما صارما. فتك به غلمان له، سنة(٢٨٢ه/٨٩٥م)، ينظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر (بيروت،١٩٩٤)، ج٢، ص٢٥٠؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٣، ص٣٣٥.

(٥٥) اسمها أسماء، وكان صداقها ألف ألف درهم، وكانت موصوفة بفرط الجمال والعقل. ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب، ج٣، ص٣٣٦.

(٥٦) بويع بالخلافة بعد أخيه المستعين بالله أبي الفضل العباس في يوم الخميس سادس عشر ذي الحجة سنة ست عشرة وثمانمائة. وكان من سروات الخلفاء، نبيلا ذكيا فاضلا، يجالسه العلماء والفضلاء، ويستفيد منهم ويشاركهم فيما هم فيه، جوادا سمحا، وطالت مدته في الخلافة نحو ثلاثين سنة، واستمر فيها إلى أن توفي في محرم سنة (٨٤٥ه/١٤٤١م). ينظر: حسن المحاضرة، ج٢، ص٩٠؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٩، ص٣٧١.

(٥٧) حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٧٧

(٥٨) حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٦٦.

(٥٩) حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٩١.

(٦٠) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٨، ص٣٣٢.

(٦١) حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٦٦.

(٦٢) حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٧١.

(٦٣) حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٩٠.

(٦٤) الملك المظفر ركن الدين البرجي الجاشنكير المنصوري، كان أبيض أشقر مستدير اللحية أزهر، فيه عقل موفر الأقسام، ودين لا يدعه يقع في محظور ولا حرام. يتجنب الفواحش ويحاذيها، كان أستاذ الدار للملك الناصر محمد بن قلاوون، ثم تسلطن لفترة قصيرة، توفي بالقاهرة سنة(٧١٠ه/١٣١٠م). ينظر: صلاح الدين الصفدي، خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ-١٣٦٢م)، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: علي أبو زيد وآخرين، دار الفكر المعاصر(بيروت ، ١٩٩٨م) ، ج٢، ص٧٢.

(٦٥) حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٩٩.

(٦٦) حسن المحاضرة، ج١، ص٣٩٠.

(٦٧) حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٨٣.

(٦٨) حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٨٣.

(٦٩) الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسين عليّ بن الحاكم، بأمر الله، الرابع من خلفاء مصر من بنى عبيد، ولد بالقاهرة يوم الأربعاء، سنة خمس وتسعين وثلثمائة، وبويع له بالخلافة يوم عيد النحر، سنة(٤١١ه/١٠٢٠م) وعمره ست عشرة سنة، عاقلا سمحا جوادا يميل إلى دين وعفّة وحلم مع تواضع. أزال الرسوم التي جدّدها أبوه الحاكم الى خير، وعدل في الرعيّة وأحسن السيرة، وأعطى الجند والقوّاد الأموال، توفي سنة(٤٢٧ه/١٠٣٥م). ينظر: المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر(ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار الكتب العلمية(بيروت، ١٤١٨ هـ)، ج٢، ص١٩١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٢٤٨.

(٧٠) حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٨٦.

(٧١) حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٨٦.

(٧٢) حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٠٨.

(٧٣) البرزالي، القاسم بن محمد بن يوسف**(ت٧٣٩ه/١٣٣٩م):** المقتفي على كتاب الروضتين، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، المكتبة العصرية(بيروت، ٢٠٠٦)، ج١، ق٢، ص٥٤٢.

(٧٤) سورة الأحزاب، جزء من الآية: ٣٣.

(٧٥) المرط: كل ثوب غير مخيط. ويكون من خز أو صوف أو كتان، ويقال أنه الثوب الأخضر على الخصوص. ينظر: ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن على جمال الدين (ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، ط٣، دار صادر (بيروت ،١٤١٤ هـ)، ج٧، ص٣٩٩.

(٧٦) قوله: رؤوسهم كأسنمة البخت المائلة، تميل كما تميل أسنمة البخت إلى بعض الجهات عند كبرها وسمنها، وقد قالوا ناقة ميلاء إذا كان سنامها يميل إلى أحد شقيها. ينظر: ابن منظور، لسان العرب ، ج١، ص١٢٥.

(٧٧) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله (ﷺ): "صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا". مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ/٨٧٥م)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي (بيروت، د.ت) ، ج٣، ص١٦٨٠.

(٧٨) ابن الاثير، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت ٦٣٧هـ/١٢٣٩م) ،المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،تحقيق أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة(القاهرة،د.ت)
، ج٢، ص١٤٢.

(٧٩)ابن الإخوة، محمد بن محمد (ت ٧٢٩هـ/١٣٢٩م)، معالم القربة في طلب الحسبة، دار الفنون (كمبردج، د.ت)، ص٣١.

(٨٠) ينظر: حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٣٣،٢٣٢،٢٣١.

(٨١) كتب في الإنشاء للخلفاء خمسا وستين سنة، وكان نصرانيا. ينظر: حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٣٢.

(٨٢) لم نجد له ترجمة.

(٨٣) حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٧٥.

(٨٤) حسن المحاضرة، ج١، ص٥٣٩.

(٨٥) حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٩٥.

(٨٦) حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٩٦.

(٨٧) حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٠١.

(٨٨) فرقة من اليهود، اتخذوا من مدينة نابلس مستقراً لهم ويعتقدون أنها هي مدينة القدس، ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس ولا يعظمونه، ولهم توراة غير التوراة التي بأيدي سائر اليهود، ويبطلون كل نبوة كانت في بني إسرائيل بعد النبي موسى (عليه السلام)، ولا يوقنون بالبعث، ولا يستحلون الخروج من الشام، ينظر: ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت

٤٥٦هـ/١٠٦٤م)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي(القاهرة، د.ت)، ج١، ص٨٢.

(٨٩) حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٩٨.

(٩٠) حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٠٠.

(٩١) حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٠٣.

(٩٢) حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٨٢.